جذوة المقتبس

للحميدى

obeikandl.com

هذا المصدر الأدبى للحميدى ، وهو كما يقول صاحب وفيات الأعيان هــو " أبو عبد الله محمد بن أبى تصر فتوح بن عبد الله بن حميد بن يصل الأسدى الحميدى الأندلسى ، الميورقى ، الحافظ المشهور .
والحميدى .، نسبة إلى جده " حميد " [٢٣٤]

وتروى لنا بعض كتب التواريخ أن نسبته إلى " حميد بن عبد الــرحمن بــن عوف – رضى الله عنه – وهو ليس بصحيح لأن أبا عبد الله المذكور أسدى النسب وعبد الرحمن " قرشى زهرى ، فكيف يجتمعان ؟

أما صاحب " كشف الظنون " [٢٣٥] فيسميه : " الإمام الحافظ ، أبــا عبــد الله محمد ابن أبى نصر ، فتوح الأزدى الحميدى ويسميه صاحب"بغية الملــتمس"[٢٣٦]: " أبا عبد الله الحميدى " وأبوه يكنى " أبا نصر " .

وأصله من " قرطبة " من ريص الرصافة، وهو من أهالى جزيرة " ميورقة " وكانت ولادته قبل العشرين بأربعمائة [٢٣٧] وتوفى ليلة الثلاثاء سابع عشر مــن ذى الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة بــ " بغداد " ويقول" الســمعانى " فــى كتابــه " الأنساب " . فىترجمة " الميورقى " : " إنه توفى فى صفر سنة إحــدى وتســعين وأربعمائة .

وفى كتاب " الذيل " للسمعانى أن الحميدى توفى ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذى الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة[٢٣٨]– ودفن من الغد يعنى يوم الأربعاء فــى مقبرة " باب أبرز " بالقرب من قبة الشيخ " أبى إسحاق الشيرازى وصلى عليه " أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين الشاشى الفقيه فى جامع القصر ، ثم نقل بعد ذلك فى

---

٢٣٤ ـ وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤١٠ .
٢٣٥ ـ وفيات الأعيانن ج ٣ ص ٤١٠ .
٢٣٦ ـ بغية الملتمس ص ١١٣ .
٢٣٧ الأنساب / للسمعانى .
٢٣٨ ـ الذيل / للسمعانى .

obeikandi.com

صفر سنة إحدى وتسعين وأربعمائة إلى مقبرة " باب بَحْر " ودفن عند قبر " بشر بن الحارث الحاقى " [٢٣٩] .

شيوخـــه :

روى عن " أبى محمد على بن حزم الظاهرى ، واختص به ، وأكثـــر مـــن الأخذ عنه ، وشهد بصحبته وعن أبى عمر يوسف بن عبد البـــر " صـــاحب كتـــاب الاستيعاب " وعن غيرهما من الأئمة [٢٤٠] .

ثم رحل بعد الأربعين وأربعمائة ، فروى بمصر عن جماعة منهم " الخطيـــب أبو بكر صاحب التاريخ " [٢٤١] .

ويقول صاحب الوفيات " أدرك " الحميدى " بدمشق" الخطيب أبو بكر الحافظ " وروى عنه وعن غيره ، وروى الخطيب أيضاً عنه . وفى المشرق ذهب إلى " مكة" وسمع بها ، وكان موصوفاً بالنباهة والمعرفة والإتقان ، والدين ، والورع وكانت له نغمة حسنة فى قراءة الحديث .

ويقول عنه صاحب كتاب " الإكمال " والحميدى ، من أهل العلـــم والفضـــل والتوقف ، ولم أر مثله فى عفته ، ونزاهته وورعه ، وتشاغله بالعلم [٢٤٢].

ويبدو أن " الحميدى " لم يكن محدثاً أو فقيهاً فقط ، بل كان أديباً ، وشاعراً ، وناقداً فمن رائع شعره :

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً ... سوى الهذيان من قيلٍ وقالِ
فأقلل من لقـــاء النـــاس إلا ... لأخذ العلم أو إصلاح حـالِ [٢٤٣]

---

٢٣٩ ـ وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤١٠ .
٢٤٠ ـ ذاته .
٢٤١ ـ بغية الملتمس ص ١١٣ .
٢٤٢ ـ الإكمال – إلى الأمير أبو نصر على بن ماكولا والوفيات جـ ٣ ص ٤١٠ .
٢٤٣ ـ ذاته .

obeikandl.com

ولسنا فى موضع الحكم عليه شاعراً ولكننا نستطيع أن نستدل بهذين البيتــين على شاعريته التى تتمثل فى اختياره للنصوص الشعرية ، الواردة فى " الجذوة " .

مؤلفاتــه :

ألف الحميدى مجموعة كبيرة من الكتب أشارت إليها المراجع ومنها :

أولاً : الجمع بين الصحيحين البخارى ومسلم .

ثانياً : جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث والأدب .

ثالثاً : الذهب المسبوك فى وعظ الملوك .

رابعاً : تسهيل السبيل إلى علم التأسيل .

خامساً : المتشاكة فى أسماء الفواكه .

سادساً : نوادر الأطباء .

سابعاً : تفسير غريب فى الصحيحين .

ثامناً : بلغة المستعجل .

تاسعاً : التذكرة .

ويقول بعض العلماء إن له كتباً مفقودة وهى :

أولاً : الأمانى الصادقة .

ثانياً : مخاطبة الأصدقاء فى المكاتبات واللقاء .

ثالثاً : ما جاء من النصوص والأخبار فى حفظ الجار .

رابعاً : أدب الأصدقاء .

خامساً : ذم النميمة .

سادساً : تحفة المشتاق فى ذكر صوفية العراق .

سابعاً : المؤتلف والمختلف .

ثامناً : وفيات الشيوخ .

تاسعاً : من ادعى الأمان من أهل الإيمان .

obeikandi.com

عاشراً : ويذكر " ابن شاكر الكتبى " أن له ديوان شعر . ويقول الذهبى " فى سير أعلام النبلاء " إن له شعراً ولعله أشبه بالصواب [٢٤٤].

وهذه الكتب تدل بوضوح وجلاء تامين على الاتجاهات التى كان يرتادها " الحميدى " وهى تتمثل فى :-

أولاً : الأمور الدينية والأخلاقية والعلاقات الاجتماعية .
ثانياً : التأريخ والتراجم والسير ، ومنها الكتاب الذى نحن بصدده .
ثالثاً : فنون الأدب وخاصة فن الشعر ، وقيل إن له ديواناً من الشعر.

ومما لا ريب فيه أن رجلاً مثل " الحميدى " ارتاد هذه الاتجاهات ، وألف فيها لا ريب أنه كان يتمتع بعلم وفير ، ومعارف غزيرة ، وذكاء لمَّاح تمثل فى هذا المصدر وغيره .

جذوة المقتبس :

يذكر " الحميدى " أنه كتب هذا المصدر الأدبى الممتع "جذوة المقتبس " من حفظه ، وقد طلب ذلك منه " ببغداد " وكان يقول – رحمه الله – : " ثلاثة أشياء من علوم الحديث يجب تقديم التهم بها ، وهى :-

أولاً : كتاب " العلل " .
ثانياً : كتاب " المؤتلف والمختلف " .

وقد وضع " الحميدى " هذا الكتاب الأدبى دون تنقيح وسطر ما عنَّ له وذلك يدل على ذهن ناضج ، وعلمٍ فياض . وكان " الحميدى " يجمع بين الجانب العلمى والفنى ، فالجانب العلمى يتمثل فى الترجمة لرجال الحديث والفقه ، والتاريخ .

---

٢٤٤ - سير أعلام النبلاء للذهبى .

obeikandl.com

أما الجانب الفنى فيتمثل فى اختياره لكثير من القطع الأدبية والشعرية التى تشيع فى الكتاب .

ومما لا ريب فيه أن وجود " الحميدى " فى " العراق " بصورة خاصة، وفى المشرق بوجه عام أتاح له فرصة الاحتكاك بالمراكز العلمية المتقدمة فى بلاد المشرق فى مصر والعراق ، والشام ، والاطلاع على أحدث الأفكار والتطورات الدائرة فى هذه البلاد مما جعله يميل إلى أن يقارن بين تلك المستويات السائدة فى المشرق والأخرى التى فى بلاد المغرب والأندلس .

" والحميدى " رجل أخلاقى ، يؤمن بالمثاليات والمبادئ وأهميتها فى التوجيه والإرشاد ، فتراه يؤلف فى " وعظ الملوك " ويورد بعض القصص التى تحكى جانباً من العلاقة التى كانت بين الحاكم ومن يتصلون به ، وخاصة من رجال العلم .

والجانب الأدبى فى هذا المصدر نستطيع أن نلمس أهميته إذا ما عرفنا أن " الحميدى " كان شاعراً فقد تمكن بحسه المرهف من اختيار نصوص شعرية وأدبية ذات لون خاص يحس معها القارئ بشفافية المؤلف وذوقه فى الاختيار ، وهذه النصوص الشعرية ذات صياغة رقيقة تعبر عن نفوس أندلسية ، صافية تشكو دون حقد ، وتتألم دون ثورة ، وقد أورد " الحميدى " نصوصاً كثيرة فى كل الموضوعات من " مدح ، وشكوى ، ومطارحات ، وغزل ، وتصوف ، وطبيعة " .

وفى بعض الأحيان يميل " الحميدى " إلى أن يعرض عدة مختارات لشاعر الواحد ، وربما تحدث عن ظروف القصيدة، وفى الحقيقة أن " الحميدى " لم يخرج عن الخط الواضح الذى تسير عليه المكتبة الأندلسية وهو تراجم رجال الفقه والحديث والأدب ، لذلك فقد بدأ الكتاب بمقدمة تاريخية حتى يضع أمام القارئ

التطورات السياسية التى عاش فيها العلماء حتى إن صاحب " نفح الطيب " [٢٤٥] نقل منها بعض الأخبار والروايات عن فتح الأندلس .

وقد اعتمد " الحميدى " فى جمع هذا الكتاب على شيخه " أبى محمد على بن أحمد " وعلى حصيلة من أخبار ملوك تلك البلاد حتى وقت خروجه منها إلى المشرق على أن ما فى الجذوة من روايات شخصية " للحميدى " لا نكاد نجدها مروية عن غيره أعطت أهمية أخرى لهذا المصدر ، وأضافت إلى الحصيلة العامة حصيلة شخصية لم تتيسر لأحد غيره ، " والحميدى " كان يتمتع بذكاء خاص ، وعين فاحصة تستطيع التمييز ، والانتقاء ، وتتبع الجزئيات للوصول إلى الكليات ، كما كان يتمتع لحساسية المؤرخ حيال الأحداث ، والروايات ، وذوق الفقيه ، وشفافية الرؤية عن الفنان ، " فالحميدى " فى الحقيقة كل هؤلاء الناس .

محتويات هذا الكتاب :

ويحوى الكتاب التأريخ لولاة الأندلس مثل ولاية الأمير " هشام بن عبد الرحمن ، والحكم بن هشام ، وعبد الرحمن بن الحكم " .. إلخ ، ثم يتحدث عن الأعيان والعلماء ويرتب على حسب الحروف الهجائية فيقول " من اسمه محمد ؟

ثم يذكر باب الألف ، ويذكر من اسمه " أحمد " وجلّهم شعراء ، وإن شئت فقل جميعهم ، وعلى سبيل المثال لا الحصر يذكر " أحمد بن محمد الجيانى " المعروف بـ" تيس الجن " شاعر ضليع يجرى فى وصف الخمر مجرى " أبى على الحسن بن هانئ " فيقول :

امزجى يا مدام كأس المدام ... قد مضى وانقضى ذمام الصيام
وأبى العيد أن ندين بدين ... غير دين الصبا ودين المدام
حبذا ميتة تقود حياة ... بين غض البهار والنمام

---

٢٤٥ - نفح الطيب للمقرى جـ ١ ص ٢٢٣ ، ٢٢٧ .

وذكر فى باب من اسمه " سليمان " الشاعر " سليمان بن محمد " ومن شعره :

نار الصبابة فى الضلوع تأججى وغمامة الدمع الوكيف تبعجى
فأرى خلال الغيم مبسم بارق كالزند يقدح أو ضرام العرفج
فكأنه من أضلعى متوقد فى الجو إلا أنه لم يوهج
وكأن محبوبى تبسم فوقه ليزيد بالإيمان فى شجو الشجى

وفى باب الكاف " أورد أسماء أفراد مثل " كليب بن محمد وكلثوم بن أبيض المرادى ، والكميت بن الحسن ، وهو شاعر أديب كان يمدح الأمراء ، وكرز بن يحيى الصدفى " .

وفى باب اللام " أورد المحدث الزاهد الفاضل " لُبَّ عبد الله " ثم فى آخر الكتاب ذكر أصحاب الكنى وهم الذين لم تتحقق له أسماؤهم ومنهم ، " أبو محمد الحجازى وله أشعار كثيرة منها :-

ألا أيها العاتب المعتدى ومن لم يزل فى لغى أورد
مساعيك يكتبها الكاتبان فبيض كتابك أو سود

ويذكر أيضاً الشعراء " أبو محمد البجانى ، وأبو أحمد المنفتل وأبو سليمان بن حمام الوزير الكاتب ، وأبو عبد الله المالقى وله فى غلام جميل حلقة شعر :

حلقوا رأسه ليزداد قبحاً حذراً منهم عليه وشحّا
كان قبل الحلاق صبحاً وليلا فمحوا ليله وأبقوه صبحا

obeikandl.com